مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي (٤٢)

فصول
في بيان الشرك الأصغر

تأليف

عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

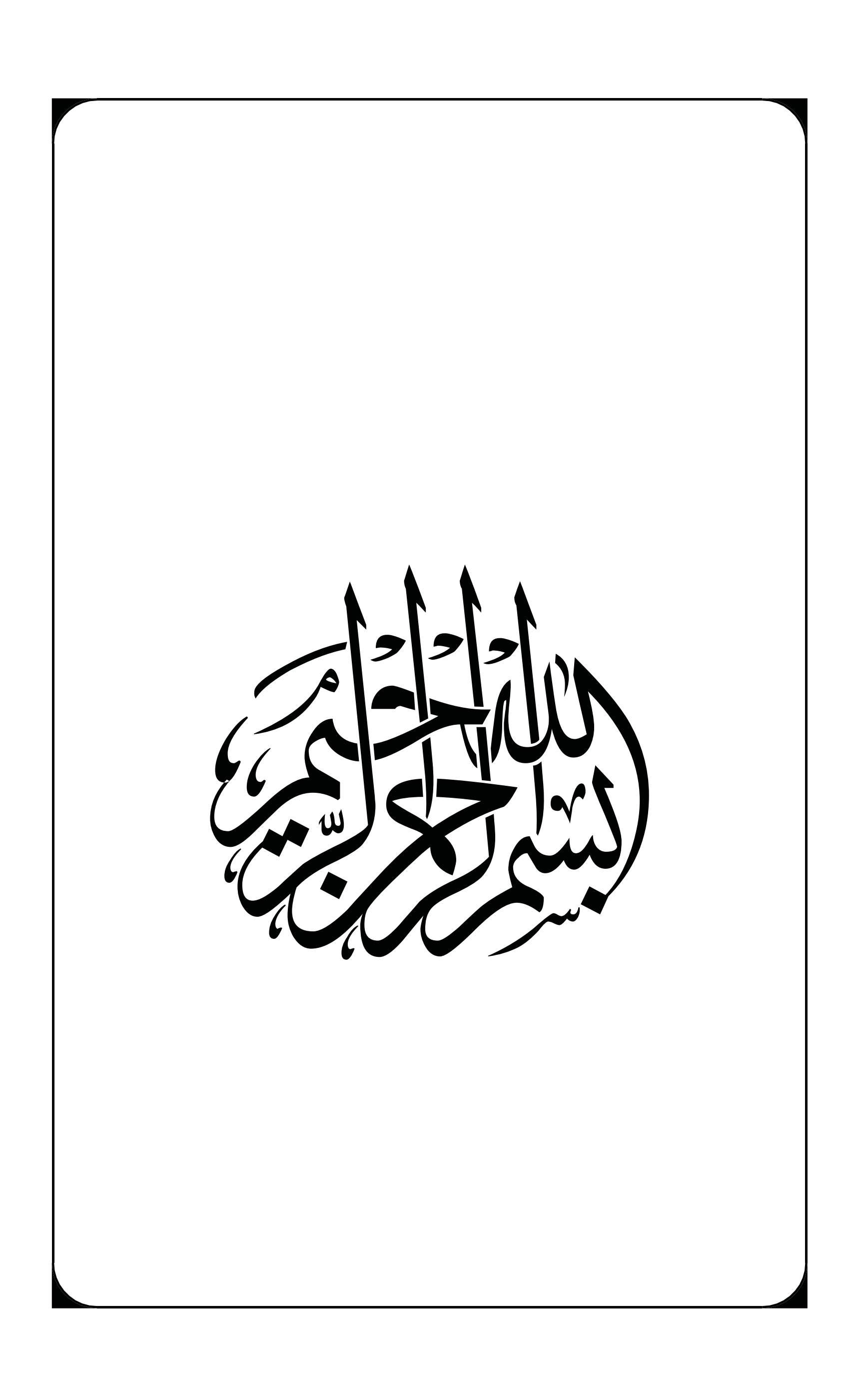
الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ ـ ٢٠١٧م

تم الصف والإخراج

بمركز عبدالعزيز بن عبدالله الراجحي

للإستشارات والدراسات التربوية والتعليمية


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدمة

الحمد لله الدائم بلا زوال،المتفرِّد بكمال العزّ والجلال، المتعالي عن الأشباه والأمثال، أحمده سبحانه وأشكره على جزيل الإحسان والإفضال، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له المتصف بصفات الكمال، حذَّر من الشرك والبِدع والضلال، ودعا إلى التوحيد وشرف الخلال، اللهم صلِّ على عبده ورسوله مُحمد، وعلى آله وأصحابه خير صحب وآل، ومَنْ تبعهم بإحسان في الأفعال والأقوال، وسلِّم تسليماً كثيراً.

أما بعد:

فإن أعظم شهادة وأفرَضها على الخَلق قولاً وعملاً واعتقاداً ما شهد الله به لنفسه من اختصاصه بالإلهية دون جميع خلقه أَزَلاً وأبداً، وهي الشهادة لله بالوحدانية، وإن الشرك والكفر والنفاق ينافي التوحيد بالكليَّة أو ينافي كماله الواجب إذا كان شركاً أو كفراً أصغر أو نفاقاً عمليَّاً، وقد ورد في الكتاب والسُّنَّة تسمية كثير من المعاصي بالشرك والكفر والنفاق، فدلَّ

ذلكم على أنها أكبر من المعاصي وأنها وسيلة إلى الشرك الأكبر والكفر والنفاق الاعتقادي.

ولابدّ للمسلم الموحِّد من معرفة التوحيد، والعمل به، ومعرفة قدره، وإنكار الشرك ونفيه، وبغضه وبغض أهله، وتكفير مَنْ فعل الشرك الأكبر، ولابدَّ من معرفة قدر الشرك، وبالجهل بالشرك لا يحصل شيء ممَّا دلَّت عليه كلمة التوحيد، ومَنْ لم يأتِ بما دلَّت عليه لم يرفع رأساً بما خُلِق له من الدين الذي بعث اللهُ به رسولَه.

وفي هذا السياق جاءت هذه الرسالة الموسومة بـ«فصول في بيان الشرك الأصغر».

اللهم ارزقنا الإخلاص، وجنِّبنا الشرك في الأقوال والأعمال، وثبتنا على الهدى، وتوفنا مسلمين، وصلِّ اللهم وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

كتبه

عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن الراجحي

فصل
في بيان خطر الشرك الأصغر

إن الشرك الأصغر منتشر بين الناس، كالحلِف بغير الله، والتشريك بين الخالق والمخلوق في المشيئة وغيرها، وإسناد الأشياء إلى الأسباب دون المسبِّب كأن يقول: لولا فلان لحصل كذا، أو لما حصل كذا، وهذا من التنديد المنهي عنه في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢﴾ [البقرة: ٢٢]، قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: «الأنداد: هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل»، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي، وتقول: لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان، لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك»[١].

(١) تفسير ابن أبي حاتم، رقم (٢٢٩)، وبنحوه عند تفسير ابن جرير (١/ ٣٦٩)، قال ابن حجر في العجاب (ص ٥١): سنده قوي، وقال مؤلف تيسير العزيز الحميد (ص ٥٨٧): سنده جيد.

فاتق الله عبد الله، واحذر الشرك الأكبر والأصغر؛ ليسلم لك توحيدك وإيمانك وتكون مؤمنا حقًّاً، والزم كتاب ربك وسَّنَّة نبيك، واعمل بها؛ لتكون عزيزًا في الدنيا سعيدًا في الآخرة.



فصل
في ذكر بعض أنواع الشرك الأصغر

- **من أنواعه**: الحَلِفُ بغير الله تعالى، كالحلِف بالنبي أو بالأمانة أو بالآباء أو بالشرف أو بالحياة أو غير ذلك، وكلُّه وَرَدَ النهيُ عنه وبيانُ أنه شرك، وجاء عليه الوعيد الشديد، قال ﷺ فيما رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «**مَنْ حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك**»(١)، وقال ﷺ: «**من حلف بالأمانة فليس منَّا**»(٢)، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تحلفوا بآبائكم، مَنْ حلف بالله فليصدق، ومَنْ حُلِف له بالله فليرض، ومَنْ لم يرض فليس من الله**»(٣)، وقال ﷺ: «**ألا إن الله عز وجل ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**»(٤)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «**لأن أحلف بالله كاذباً أحبُّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقاً**»(٥).

ومن المعلوم أن الحلِف بالله كاذباً من الكبائر،

(١) رواه الترمذي: أبواب النذور والأيمان برقم (١٥٣١)
(٢) رواه أحمد في المسند برقم (٢٢٩٨٠)، وأبو داود في سننه: كتاب الأيمان والنذور برقم (٣٢٥٣).
(٣) رواه ابن ماجه في سننه: كتاب الكفارات برقم (٢١٠١).
(٤) صحيح مسلم: كتاب الأيمان برقم (١٦٤٦).
(٥) رواه عبدالرزاق في مصنفه (٨/٤٦٨) برقم (١٥٩٢٩).

إلا أن الحلف بغير الله شرك والشرك أكبر من الكبائر، وذلكم أن الحلف فيه تعظيم للمحلوف به، ولا ينبغي أن يكون التعظيم بالحلف بغير الله ﷻ، وقال النبي ﷺ: «**من حلف منكم، فقال في حلفه: باللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله**» متفق عليه[(١)].

❖ ❖ ❖

- **ومن أنواعه**: الرياء والسُّمعة والتصنُّع للخَلْق، وهذا الشرك خفيّ، وهو الذي يُخشى على الصالحين؛ وفي حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟**» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى. فَقَالَ: «**الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ**»[(٢)]، وفي الصحيحين: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»[(٣)] وسُمِّي هذا الشرك خفيّاً؛

(١) صحيح البخاري: كتاب الأدب برقم (٦١٠٧)، صحيح مسلم: كتاب الأيمان برقم (١٦٤٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة برقم (٤٢٠٤) والإمام أحمد برقم (١١٢٥٢) والحاكم (٣٢٩/٤) وصححه، ووافقه الذهبي، وحسنه البوصيري والألباني.

(٣) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة، برقم (٦٤٩٩)، ومسلم، كتاب الزهد والرقائق، برقم (٢٩٨٦).

لأنه عمل قلب لا يعلمه إلا الله، ولأن صاحبه يُظهر أن عمله لله، وقد قصد غيره أو شرّكه فيه بتزيين صلاته لأجله، وعن أبي هريرة ﷺ مرفوعاً، قال الله تعالى: «**أنا أغنى الشركاء عن الشرك، مَنْ عمل عملاً أشرك معِيَ فيه غيري تركتُه وشركَه**»رواه مسلم(١).

- وقد يكون الرياء محضاً بأن يكونَ العمل لغير الله فيكون شركاً أكبر كحال المنافقين الذين قال الله عنهم: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النِّسَاء: ١٤٢]، وهذا الرياء المحض لا يكاد يصدر من مؤمن في فرض الصلاة والصيام، وقد يصدر في فرض الصدقة الواجبة أو الحج أو غيرهما من الأعمال الظاهرة أو التي يتعدَّى نفعها، فإن الإخلاص فيها عزيز، وهذا العمل لا يشك مسلم أنه حابط وأن صاحبه يستحق المقت من الله والعقوبة.

- وقد يكون العمل لله ويشاركه الرياء:

١- فإن كان أصلُ العمل لله ثم طرأ عليه الرياء؛

أ- فإن كان خاطرًا ثم دفعه فلا يضره.

ب- وإن استرسل معه ففي ذلك خلاف بين

(١) في صحيحه: كتاب الزهد والرقائق برقم (٢٩٨٥)

العلماء من السلف، ورجَّح الإمام أحمد وابن حجر أن عمله لا يبطل وأنه يُجازى بنيِّته الأولى.

٢- وأما إن شارك الرياءُ العملَ من أصله، فالنصوص الصحيحة تدل على بطلانه؛ كحديث شدَّاد بن أوس رضي الله عنه مرفوعاً: «**مَنْ صلَى يُرائي فقد أشرك، ومَنْ صام يُرائي فقد أشرك، وإن الله عز وجل يقول: أنا خير قسيم لمَن أشرك بي، فمَن أشرك بي شيئاً فإن جِدَّة عمله وقليله وكثيره لشريكه الذي أشرك به، أنا عنه غني**»رواه أحمد[1].

❖ ❖ ❖

- **ومن أنواعه**: عطف مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق بالواو، كقول الرجل: ما شاء الله وشئت، وذلك لأن العطف بالواو يقتضي المساواة لأنها في وضعها لمطلق الجمع، وتسوية الخالق بالمخلوق بأي نوع من العبادة شرك، ويجوز العطف بالفاء وثم؛ لأنها تفيد الترتيب والتراخي، ولذلك وَرَدَ النهي عن العطف بالواو وجَوازه بـ(ثمَّ)، فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تقولوا ما شاء الله وشاء فلان، ولكن قولوا ما شاء الله ثم شاء فلان**» رواه أبو داود بسند

(١) في المسند برقم (١٧١٤٠).

صحيح[١]، وعن قُتَيْلة: «أن يهودياً أتى النبي ﷺ فقال: إنكم تشركون، تقولون: ما شاء الله وشئت، وتقولون: والكعبة، فأمرهم النبي ﷺ إذا أرادوا أن يحلفوا أن يقولوا: وربِّ الكعبة، وأن يقولوا: ما شاء الله ثم شئت» رواه النسائي[٢] بسند صحيح[٣]، وله أيضاً عن ابن عباس أن رجلاً قال للنبي ﷺ: ما شاء الله وشئت. فقال: «**أجعلتني لله عدلاً، قل: ما شاء الله وحده**»[٤]. وعن إبراهيم النخعي أنه يكره أن يقول[٥]: أعوذ بالله وبك، ويجوز أن يقول: بالله ثم بك، قال: ويقول: لولا الله ثم فلان، ولا تقولوا: لولا الله وفلان، وهذا إنما يكون فيما يقدر عليه الحيّ الحاضر، بخلاف الميِّت والغائب ممن لا يسمع كلاماً ولا يرد جواباً، فإنه لا يجوز عطف مشيئته على مشيئةِ الله مطلقاً.

❖ ❖ ❖

---

(١) سنن أبي داود: كتاب الأدب رقم (٤٩٨٠)

(٢) في السنن الصغرى (المجتبى)، برقم (٣٧٧٣)، وفي الكبرى، برقم (٤٦٩٦) و(١٠٧٥٦)، وفي عمل اليوم والليلة برقم (٩٨٦).

(٣) كما قال الحافظ في الإصابة (٤/٣٧٨)، وصحح الحديثَ الحاكمُ ووافقه الذهبي (٤/٣٣١).

(٤) المرجع السابق، برقم (١٠٧٥٩).

(٥) شرح السنة للبغوي (١٢/٣٦١).

- **ومن أنواعه أيضا**: الرقى والعزائم الشركية والتِّولة، وهو شيء يصنعونه يزعمون أنه يحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته، وهو ضرب من السحر، وعن ابن مسعود ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الرقى والتمائم والتِّولة شرك**»[1]، فمن الشرك تعليق التمائم والأوتار على الأطفال والدواب وغيرهما من أجل العين؛ وقد جاءت الأحاديث بالأمر بقطع الأوتار والتمائم والنهي عنها، ففي الصحيح عن أبي بشير الأنصاري ﵁ أنه كان مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فأرسل رسولاً أن لا يَبْقَيَنَّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وتر أو قلادةٌ إلا قطعت[2]. وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم والقلائد ويُعلِّقون عليها العُوَذ يظنُّون أنها تعصمهم من الآفات فنهاهم النبي ﷺ عنها وأعلمهم أن الأوتار لا ترد من أمر الله شيئاً، وقد وَرَدَ الوعيد الشديد على مَن علَّق وتراً، فعن رويفع بن ثابت بن السَّكن الأنصاري قال: قال لي رسول الله ﷺ: «**يا رويفع، لعلَّ الحياة تطول بك، فأخبِر الناس**

(١) رواه أحمد في المسند برقم (٣٦١٥)، وأبو داود في السنن: كتاب الطب (٣٨٨٣)، وابن ماجه برقم (٣٥٣٠).

(٢) صحيح البخاري: كتاب الجهاد والسير برقم (٣٠٠٥)، صحيح مسلم كتاب اللباس والزينة برقم (٢١١٥).

أنَّ من عَقَدَ لحيته أو تقلَّد وَتَراً أو استنجى برجيع أو عظم، فإن محمداً بريئ منه»[١]، كما ورد الدعاء على مَنْ علَّق تميمة أو دَعَة، فعن عقبة بن عامر مرفوعاً: «**مَنْ علَّق تميمة فلا أتمَّ الله له، ومَنْ علَّق وَدَعَة فلا وَدَع الله له**»[٢]، وفي رواية: «**من علَّق تميمة فقد أشرك**»[٣]. وعن عبدالله بن عكيم مرفوعاً: «**مَنْ تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه**»[٤].

وكما ورد عن السلف فضل ثواب من قَطَعَ تميمة من إنسان، فعن سعيد بن جُبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «**من قطع تميمة عن إنسان كان كعِدْل رقبة**»[٥]. وهذا عند أهل العلم له حكم المرفوع إلى النبي ﷺ؛ لأن مثل ذلك لا يُقال بالرأي.

---

(١) رواه أحمد في المسند برقم (١٦٩٩٥)، وأبو داود في السنن: كتاب الطهارة برقم (٣٦)، والنسائي في سننه: كتاب الزينة برقم (٥٠٦٧).

(٢) رواه أحمد في المسند برقم (١٧٤٠٤)، وابن حبان في صحيحه: كتاب الرقى والتمائم برقم (٦٠٨٦)، والحاكم برقم (٨٣٥٨) وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

(٣) رواه أحمد في المسند برقم (١٧٤٢٢).

(٤) رواه أحمد في المسند برقم (١٨٧٨١)، والترمذي في صحيحه: أبواب الطب (٢٠٧٢) وقال: وعبدالله بن عكيم لم يسمع من النبي ﷺ، وكان في زمن النبي ﷺ. أهـ.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة: كتاب الطب برقم (٢٣٤٧٣).

والرقى: جمع رقية، وهي التي تسمى العزائم، وهي ممنوعة وخصَّ منها الدليل بالجواز ما خلا من الشرك، فقد رخَّص فيه رسول الله ﷺ من العين والحُمة، كما في حديث بريدة بن الحُصيب أنه قال: «**لا رقيةَ إلا من عينٍ أو حُمَة**»[(١)]، أي لا رقية أشفى وأولى من رقية العين والحمة، ولا بأس بالرقى إذا كانت بحق، وهي ما اجتمع فيها شروط ثلاثة؛

أحدها: أن تكون بكلام الله أو أسماء الله أو صفاته أو التعوذات الشرعية.

الثاني: أن تكون باللسان العربي وما يُعرف معناه.

الثالث: أن يعتقد أن الرقية سبب وأنها لا تؤثِّر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

والتمائم: التي تُعلق إذا كانت من غير القرآن فهي ممنوعة ـ بدون خلاف ـ لأنها تنافي كمال الإخلاص الذي هو معنى لا إله إلا الله، وينافي قوله تعالى:

---

(١) رواه أحمد برقم (٢٤٤٨) ومسلم برقم (٢٢٠) موقوفا، ورواه ابن ماجه مرفوعا برقم (٣٥١٣)، ولهذا قال الترمذي: وروى شعبة هذا الحديث عن حصين عن الشعبي عن بريدة عن النبي ﷺ برقم (١٠٥٧)، ورواه البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين موقوفا برقم (٥٧٠٥)، ووصله أحمد برقم (١٩٩٠٨) وأبو داود برقم (٣٨٨٤) والترمذي برقم (١٠٥٧).

﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [البقرة: ١١٢]؛ لأن المخلص لا يلتفت قلبه لطلب نفع أو دفع ضر إلى أحد سوى الله، فكمال التوحيد لا يحصل إلا بترك ذلك، ولذلك بيَّن النبي ﷺ: أن «**مَن تعلَّق شيئاً وُكِلَ إليه**»[(١)] أي: وَكَلَه الله إلى غيره فَضَلَّ وهَلَك، ودعا النبي ﷺ على مَن علَّق تميمة أو وَدَعَة بأن الله لا يُتم له، ولا يجعلُه في دعة ولا سكون، فقال: «**من علقَّ تميمة فلا أتمَّ الله له، ومَن علَّق وَدَعَة فلا وَدَعَ له**»[(٢)].

❖ ❖ ❖

- **ومن أنواعه**: لبس حلقةٍ أو خيطٍ أو نحوهما بقصد رفع البلاء بعد نزوله أو بقصد دفعه قبل أن ينزل؛ وكونه من الشرك الأصغر لتعلُّق القلب بغير الله في دفع ضرٍّ مما قد نزل ومما لم ينزل، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الزمر: ٣٨]، فإذا كان آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه.

على كشف ضرٍّ أراده اللهُ بعبده أو إمساك رحمةٍ أنزلها على عبده فيلزمهم أن يكون معبودُهم هو الله وحده، وكذلك الحَلْقة والخيط لا تأثير لهما في دفع بلاءٍ أو رفعه، بل إن ذلك قد يكون سبباً في زيادة ذلك البلاء لما روَى عمران بن حصين أن النبي ﷺ رأى رجلاً في يده حَلْقةٌ من صُفرٍ فقال: «**ما هذه؟**» فقال: من الواهنة، فقال: «**انْزِعْهَا فَإِنَّهَا لَا تَزِيدُكَ إِلَاّ وَهْنًا، فَإِنَّكَ لَوْ مُتَّ وَهِيَ عَلَيْكَ مَا أَفْلَحْتَ أَبَدًا**»[1].

والواهنة: مرض يأخذ في العضد، أو عرق يأخذ في المنكب وفي اليد كلها، وأَمَرَه النبي ﷺ بنزع الحلقة وأخبر أنها لا تزيده إلا وهناً؛ لأن المشرك يعامل بنقيض قصده؛ لكونه علَّق قلبه بما لا ينفعه ولا يدفع عنه، ولابن أبي حاتم[2] عن حذيفة رضي الله عنه أنه دخل على مريض في عضده سيرا فقطعه أو انتزعه، وتلا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يُوسُف: ١٠٦].

(١) رواه أحمد في المسند، برقم (٢٠٠٠٠)، وابن ماجه في السنن، كتاب الطب برقم (٣٥٣١).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٧/٢٢٠٨)، وبنحوه عند ابن أبي شيبة (٥ /٣٥)، والخلّال في السنة (٥/١٣)، و(٥/٦٤)، وابن بطة في الإبانة الكبرى برقم (١٠٣٠)، وبرقم (١٠٣١).

وهذا يدل على أن تعليق الخيط لدفع الحمى من الشرك وأنه ينبغي الإنكار بالتغليظ على مَن فعل ذلك، وأن الصحابة رضوان الله عليهم يستدلون بالآيات التي نزلت في الشرك المنهي عنه على إنكار مثل ذلك؛ لأنه ينافي الإخلاص.

❖ ❖ ❖

- **من أنواعه**: نِسبةُ حصول شيء أو عدم حصوله إلى السبب المخلوق من دون الله ولو باللفظ، كأن يقول: لولا كذا أو لما حصل كذا، كأن يقول: لولا زيد لما حل لي ربحٌ في هذه التجارة أو لحصل لي منها ربح، وهذا من الشرك الخفي لما جاءَ عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [البَقَرَة: ٢٢]، قال: «الأنداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان، وحياتي. وتقول لولا كليبة هذا لأتانا اللصوص البارحة، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا اللهُ وفلان، لا تجعل فيها فلاناً هذا كله به شرك». أهـ[١].

(١) سبق تخريجه.

وهذا من ابن عباس رضي الله عنهما تنبيه بالأدنى من الشرك على الأعلى، ولابن ماجه عن الطفيل أخي عائشة لأمها قال: رأيت كأني أتيت على نفرٍ من اليهود فقلت: إنكم أنتم القوم لولا أنكم تقولون عُزيرٌ ابن الله، قالوا: وأنتم القوم لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد. ثم مررت بنفرٍ من النصارى فقلت: إنكم أنتم القوم، لولا أنكم تقولون: المسيح ابن الله، قالوا: وأنتم القوم، لولا أنكم تقولون: ما شاء الله وشاء محمد، فلما أصبحت أخبرت بها مَن أخبرت، ثم أتيت النبي ﷺ فأخبرته، فقال: هل أخبرت بها أحداً؟ قلت: نعم. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «**أما بعد، فإن طفيلاً رأى رؤيا أخبر بها من أخبر منكم، وإنكم قلتم كلمة يمنعني كذا وكذا أن أنهاكم عنها، فلا تقولوا ما شاء الله وشاء محمد، ولكن قولوا ما شاء الله وحده**»[1].

قال ابن القيم رحمه الله: (وأما الشرك الأصغر فكيسير الرياء والتصنُّع للخَلْق والحلِف بغير الله، وقول الرجل للرجل: ما شاء الله وشئت، وهذا من الله ومنك، وأنا بالله وبك، ومالي إلا اللهُ، وأنت، وأنا متوكل على الله

(١) رواه أحمد في المسند، رقم (٢٠٦٩٤)، وابن ماجه في السنن: كتاب الكفارات (٢١١٨).

وعليك، ولولا الله وأنت لم يكن كذا وكذا، وقد يكون هذا أكبر بحسب حال قائله ومقصده...)[١] انتهى.

قلت: فإن اعتقد أن مشيئة المخلوق مساوية لمشيئة الخالق كان شركاً أكبر.



(١) مدارج السالكين (١/ ٣٥٢).

فصل

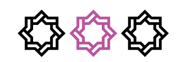


اتق الله عبد الله، وحافظ على توحيدك، وأخلِص وابتعد عما يجرحه أو يضعفه أو ينقص كماله مِن تعلُّقٍ لغير الله من تميمة أو غيرها؛ فأيُّ فائدةٍ في خُروزٍ أو خيوط أو حِلَقٍ تكون في العنق أو اليد أو غير ذلك؟ فالنافع الضار هو الله وحده فاعتمد بقلبك عليه والهج بالتضرع والإنابة إليه، واخضع له وادعه وحده في كشف ما نزل بكم من شدة أو ضرّ، فالمعوّل عليه وحده والأمر بيده، فاعبده وتوكل عليه، فله غيب السماوات والأرض، وإليه يُرْجَع الأمر كلُّه، وما الله بغافل عمَّا تعمل.

واعلم أن النفع والضر بيد الله، فاعتمد بقلبك عليه، واسأله كشف ما نزل بك من شدة أو كرب، ولا مانع من فعل الأسباب الشرعيَّة من التداوي، والرقية الشرعية، واحذر تعليق التمائم؛ فإن النبي ﷺ نهى عنها حسماً لمادة الشرك.

فإن فِعلُ الأسباب مأمور بها؛ كما يُتَّقى الجوع بالأكل، والظمأ بالشرب، والحرّ والبرد بما يخفف ذلك أو يزيله، فكذلك يُتداوى ويتعالج من المرض، ولكن لا يعتمد المسلم على هذه الأسباب، بل يعتمد على الله وحده ويتوكل عليه، ويسأله كشف ما نزل به لعلمه أن الشفاء بيده وحده سبحانه، ولكن يفعل الأسباب المشروعة طاعة لله ولرسوله وامتثالاً للأمر بفعلها.

فاتق الله عبد الله وتوكَّل على الله، واضرع إليه في طلب حوائِجك منه؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥]، دعاء خائف طامع في حصول ما تطلبه وتسأله منه سبحانه؛ عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَٱدۡعُوهُ خَوۡفٗا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٥٦﴾ [الأعراف: ٥٦].



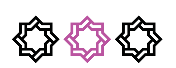
فصل

إن للشرك الخفي كفَّارة وهي أن يدعا بما ورد عن النبي ﷺ في حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال: الشرك في هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء في ظلمة الليل، الشرك فيكم أخفى من دبيب النمل وسأدلك على شيء إذا قلته أذهب عنك صغار الشرك وكباره،تقول كل يوم ثلاث مرات: «**اللهم إني أعوذ بك أن أُشْرِك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك لِمَا لا أعلم**»(١).

فاتق الله وأخلِص أعمالك لله، وحقِّق توحيدك وإيمانك واحذر الشرك والبِدَع والمعاصي التي تُحبط العمل وتَنْقُضُ الإيمان أو تضعفه وتُنقص ثوابه؛ لتلقى

(١) مسند أبي يعلى (١/ ٦٠)، وابن بطة في "الإبانة الكبرى" (٢/ ٧٢٣)، وجاء بنحوهمن حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عند الإمام أحمد، برقم (١٩٦٠٦)، وأخرجه ابن أبي شيبة ١٠/ ٣٣٧- ٣٣٨، والبخاري في "التاريخ الكبير" (٩/ ٥٨)، والطبراني في "الأوسط" (٣٥٠٣)، وعن عائشة رضي الله عنها عند البزار (٣٥٦٦)، وأبي نعيم في "الحلية" (٨/ ٣٦٨) و(٢٩/ ٥٣)، وابن الجوزي في "العلل المتناهية" (٢/ ٨٢٣).

ربك بقلب سليم: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٩-٩٠].



فصل
في التشاؤم والتطير

التشاؤم والتطير يكون بالأشخاص أو الأمكنة أو بالأزمنة أو بالمرئيات أو بالمسموعات، والتشاؤم والتطير من أخلاق المشركين، والطيرة من الشرك المنافي لكمال التوحيد الواجب؛ لكونها من إلقاء الشيطان ووسوسته وتخويفه، فالتطير من عمل أهل الجاهلية والمشركين، وقد ذمهم الله به ومقتهم.

وأصل التطير: التطير بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرها[(١)]، وكان ذلك يصدهم عن مقاصدهم، فنفاه الشارع وأبطله، وأخبر أنه لا تأثير له في جلب نفع ولا دفع ضر، قال الله تعالى عن آل فرعون ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ ۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾﴾ [الأعراف: ١٣٠-١٣١] والمعنى: أن آل فرعون إذا

(١) والسانح ما ولاك ميامنه، والبارح ما ولاك مياسره والذي يجيء من أمامك فهو الناطح والنطيح، والذي يجيء من خلفك فهو القاعد والقعيد.

أصابتهم الحسنة وهي الخصب والسعة والعافية ـ كما فسره مجاهد ـ[(١)]، ﴿قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: نحن الجديرون الحقيقون به، ونحن أهله، وإن تصبهم سيئة ـ أي: بلاء وضيق وقحط ـ يطيروا بموسى ومن معه، فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه، فبسببهم أصابنا الشؤم، وقال الله تعالى ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم، أي: إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسوله، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن أكثرهم جهال لا يدرون، ولو فهموا وعقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام إلا الخير والبركة والسعادة والفلاح لمن آمن به واتبعه، وليس فيه شيء يقتضي الطيرة.

وقال الله تعالى: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا۟ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓا۟ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا۟ لَنَرْجُمَنَّكُمْ

(١) تفسير ابن جرير (١٣/٤٧)، وابن أبي حاتم (٥/١٥٤٣)، وانظر: الدر المنثور (٣/٥١٩).

وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨﴾ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [يس: ١٣-١٩] المعنى - والله أعلم - خطكم وما نالكم من شر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، وليس هو من أجلنا ولا بسببنا، بل ببغيكم وعداوتكم، فطائر الباغي الظالم معه، فما وقع به من الشر فهو بسببه الجالب له، وذلك بقضاء الله وقدره وحكمته وعدله، وقوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أي: من أجل أنا ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله قابلتمونا بهذا الكلام ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ مجاوزون الحد، فقابلتم الحق بالباطل، وقد نهى رسول الله ﷺ عن التطير وأخبر أنه شرك.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر**» أخرجاه، زاد مسلم: «**ولا نوء ولا غول**»(١).

العدوى: مجاوزة العلة من صاحبها إلى غيره، ومعنى الحديث: لا عدوى على الوجه الذي يعتقده أهل الجاهلة من إضافة الفعل إلى غير الله تعالى، وأن هذه الأمور تتعدى بطبعها، وإلا فقد يجعل الله بمشيئته

(١) رواه البخاري، كتاب الطب، باب الطيرة (٥٧٥٣) ومسلم، كتاب السلام (٢٢٢٢).

مخالطة الصحيح من به شيء من الأمراض سببا لحدوث ذلك، ولهذا قال النبي ﷺ: «**فرّ من المجذوم فرارك من الأسد**»[(١)] وقال عليه الصلاة والسلام: «**لا يورد ممرض على مصح**» [(٢)] وقال عليه الصلاة والسلام في الطاعون: «**إذا سمعتم به بأرض، فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض، وأنتم بها فلا تخرجوا، فرارا منه**»[(٣)] وكل ذلك بتقدير الله تعالى، وهذا كله من فعل الأسباب، والعبد مأمور باتقاء أسباب الشر إذا كان في عافية، فكما أنه يؤمر أن لا يلقي نفسه في الماء وفي النار مما جرت العادة أنه يهلك أو يضر، فكذلك اجتناب مقاربة المريض كالمجذوم، والقدوم على بلد الطعون، فإن هذه كلها أسباب للمرض والتلف، فالله سبحانه خالق الأسباب ومسبباتها، لا خالق غيره ولا مقدر غيره، وهذا الجمع بين الأحاديث

---

(١) رواه البخاري معلقا (١٠/ ١٢٩)، والحديث موصول عند ابن أبي شيبة برقم (٢٤٥٤٣)، والبخاري في التاريخ الكبير (١/ ١٣٩)، وفي الأوسط (٢/ ٧٦)، والبيهقي (٧/ ٢١٨)، قال البغوي في شرح السنة (٣/ ٣٦٧) بعد ما رواه عن البخاري: هذا حديث صحيح.

(٢) رواه البخاري، كتاب الطب، باب لا هامة برقم (٥٧٧١) ومسلم، كتاب السلام برقم (٢٢٢١).

(٣) رواه البخاري، كتاب الطب، باب ما يذكر من الطاعون برقم (٥٧٣٠)، ومسلم، كتاب السلام برقم (٢٢١٨).

قول البيهقي وتبعه ابن الصلاح وابن القيم وابن رجب وابن مفلح وغيرهم.

❍ قوله: «**ولا طيرة**» قال ابن القيم رحمه الله: (وهذا يحتمل أن يكون نفيا وأن يكون نهيا، أي: لا تطيروا، ولكن قوله في الحديث: **ولا عدوى ولا صفر ولا هامة**» يدل على أن المراد النفي وإبطال هذه الأمور التي كانت الجاهلية تعانيها، والنفي في هذا أبلغ من النهي؛ لأن النفي يدل على بطلان ذلك وعدم تأثيره، والنهى إنما يدل على المنع منه) [(١)].

وأما حديث: «**الشؤم في ثلاث في المرأة والدابة والدار**»[(٢)] فليس في هذا الحديث إثبات الطيرة التي نفاها الله سبحانه ولكن معنى الحديث أن الله قد يخلق أعيانًا مشؤومة على من قاربها وساكنها، وأعياناً مباركة لا يلحق من قاربها شؤم ولا شر، كما يعطى الوالدين ولدًا مباركًا يريانِ الخير على وجهه، ويعطى غيرهما ولدا مشؤوماً يريانِ الشر على وجهه، وكذلك ما يعطاه من ولاية، وكل ذلك بقضائه وقدره.

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٤).

(٢) البخاري، كتاب الطب، باب لا عدوى (٥٧٧٢).

❍ قوله: «**ولا هامة**» الهامة: طير من طير الليل يسمى البومة، كانوا يتشاءمون بها إذا وقفت على بيت أحدهم يقول: نعت إليّ نفسي أو أحدًا من أهل داري، فجاء الحديث ينفي ذلك وإبطاله.

❍ قوله: «**ولا صفر**» قيل: هي حية تكون في البطن، وهي أعدى من الجرب عند العرب، والمراد بنفيه: ما كانوا يعتقدونه من العدوى.

وقيل: المراد به: شهر صفر، والنفي لِمَا كان أهل الجاهلية يفعلونه في النشيئ، فكانوا يحلون المحرم، ويحرمون صفر مكانه.

وقيل: إن أهل الجاهلية يتشاءمون بصفر، ويقولون: إنه شهر مشؤوم، فأبطل النبي ﷺ ذلك.

ولعل القول الأخير أقرب الأقوال للصواب.

والتشاؤم بصفر هو من جنس الطيرة المنهي عنها، وكذلك التشاؤم بيوم من الأيام كيوم الأربعاء، وكذلك تشاؤم أهل الجاهلية بشوال في النكاح فيه خاصة.

❍ قوله: «**ولا نوء**»: نفيٌ لاعتقاد أهل الجاهلية، وهو نسبة المطر إلى النوء ـ وهو سقوط النجم ـ، والنوء جمعه أنواء، وهي: منازل القمر، وهي ثمان وعشرون منزلة، ينزل القمر كل ليلة منزلة منها، ومنه

قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يٓس: ٣٩] يسقط في الغرب كل ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت من المشرق، وكانت العرب تزعم أن مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر وينسبونه إليها، ويقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وإنما سمى نوءً لأنه إذا سقط الساقط منها ناء الطالع بالمشرق ـ أي: نهض وطلع ـ.

❍ قوله: «**ولا غول**» الغول واحد الغيلان، وهو: جنس من الجن والشياطين كانت العرب تزعم أن الغول في الفلاة تتراءى للناس، أي: تتلون تلوناً في صور شتى وتغولهم ـ أي: تضلهم عن الطريق وتهلكهم ـ فنفاه النبي ﷺ وأبطله.

- ويستثنى من الطيرة: الفأل وهو الكلمة الطيبة يسمعها الإنسان فيسرّ بها ويؤمل خيرًا؛ كما ثبت في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة، ويعجبني الفأل**»، قالوا: وما الفأل؟ قال: «**الكلمة الطيبة**»[(١)] وإنما كان النبي ﷺ يعجبه الفأل؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى من غير

(١) البخاري، كتاب الطب، باب الفأل برقم(٥٧٥٦) مسلم، كتاب السلام برقم (٢٢٢٤).

سبب محقَّق، والفأل حسن ظن بالله، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

ومثال الفأل: أن يسمع رجل مريض رجلا آخر يقول: يا سالم، فيقع في ظنه أنه يبرأ من مرضه، أو يسمع رجل فقد ضالته رجلا آخر يقول: يا واجد، فيقع في ظنه أنه يجد ضالته.

وإذا رأى الإنسان ما يكره: فإنه يستحب له أن يقول: «اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يدفع السيئات إلا أنت ولا حول ولا وقوة إلا بك»، لورود ذلك في حديث عقبة بن عامر ﵁ عند أبي داود بسند صحيح[(١)].

وكفارة من ردته الطيرة عن حاجته أن يقول: «اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»؛ لما ثبت من حديث ابن عمر ﵄ عند الإمام أحمد: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»، قالوا: فما كفارة ذلك؟ قال: «أن تقول: اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك، ولا إله غيرك»[(٢)].

---

(١) رواه أبوداود، كتاب الطب، باب في الطيرة برقم (٣٩١٩).

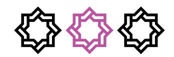
(٢) رواه أحمد برقم (٧٠٤٥).

وحد الطيرة المنهي عنها أنها ما يحمل الإنسان على المُضيِّ فيما أراده أو يمنعه من المضي فيه؛ لما ثبت في حديث الفضل بن عباس رضي الله عنهما عند الإمام أحمد «**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**»(١)، وفي سنده انقطاع.

والفأل الذي يحبه النبي ﷺ فيه نوع بشارة فيسر به العبد ولا يعتمد عليه، بخلاف ما يمضيه أو يرده فإن للقلب عليه نوع اعتماد، وهذا هو الفرق.

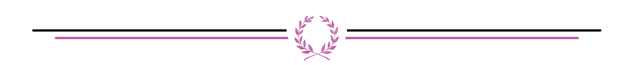
وجاء في الحديث: «**الطيرة شرك**»(٢)، وجاء أيضا: «من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك»؛ وذلك أن الطيرة هي التشاؤم بالشيء المرئي أو المسموع، فإذا رده شيء من ذلك عن حاجته فقد دخل في الشرك؛ لما فيها من تعلق القلب على غير الله.

فمن استمسك بعروة التوحيد الوثقى، واعتصم بحبله المتين، وتوكل على الله: قطع هاجس الطيرة قبل استقرارها، وبادر خواطرها قبل استمكانها.



(١) رواه أحمد برقم (١٨٢٤).
(٢) رواه ابن ماجه، أبواب الطب، باب من كان يعجبه الفأل ويكره الطيرة برقم (٣٥٣٨)، وأحمد برقم (١٨٢٤).

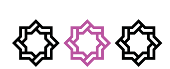
الخاتمة



إن الدين عند الله الإسلام، والإسلام هو توحيد الله وإخلاص العمل له، وهو دين الرُّسُلِ جميعاً، والشرك ينافي التوحيد، وينافي دين الأنبياء جميعاً، ولذلك اعتنى الإسلامُ بالتوحيد وعظَّمه وبيِّن فضلَه؛ لأنه أساس الأعمال الصالحة، ونهى عن الشرك وبالَغ في التحذير منه، وسدَّ الذرائع الموصلة إليه؛ لأن الشرك إذا كان أكبر أحبط الأعمال، وإن كان أصغر أضعف الإيمان.

اللهم وفِّقنا للتوحيد والإخلاص والاستقامة، واجعلنا من الآمنين من العذاب في الآخرة، واجعلنا ممَّن يلقاك بقلبٍ سليم، اللهم ارزقنا التوكل عليك والاعتماد والتفويض في أمورنا عليك، وأعذنا من وساوس الشيطان وإلقائه وتخويفه، وارزقنا الإنابة إليك والثبات على دينك دين الإسلام والوفاة عليه، واجعل طمعنا ورجاءنا فيك دون غيرك، إنك نِعْمَ المولى ونِعْمَ النصير.

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه بإحسان.



فهرس الموضوعات